

مفاهيم القرآن

(407) وكمثل بسيط نذكر لك قصّة صفوان بن أميّة الذي كان يعادي النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلم فخرج هارباً ، فأمنّه النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلم وأعطاه عمامته التي دخل فيها مكّة كوثيقة للأمان فلمّا اطمأن ورجع حتّى وقف على رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلم قال: إنّ هذا يقول: إنّك قد أمنتني، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلم: "صدق" قال: فاجعني فيه بالخيار شهرين. قال صلّى الله عليه وآله و سلم: "أنت بالخيار فيه أربعة أشهر" (1). وهكذا نجد النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلم يخير هذا المشرك ويمهله أربعة أشهر ليفكّر ويختار الإسلام عن قناعة وقبول. ولعلّ أوضح دليل في هذا المجال هو قوله سبحانه: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) (التوبة: 6). وهنا لا بدّ أن نسجّل أنّ هذه الآيات والمواقف الصريحة في حرية الاعتقاد تكذب الاتّهام القائل بأنّ الإسلام انتشر بالسيف، فالإسلام انتشر بالتبليغ الحسن، والدعوة الخالصة ورغبة الشعوب فيه. وهذه هي حقيقة يعترف بها الأجانب قبل الأصدقاء، فهذا هو غوستاف لوبون في كتاب حضارة العرب يقول: (إنّ القوّة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن فقد ترك العرب المغلوبين على أمرهم أحراراً في أديانهم ولم ينشر الإسلام بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقت الشعوب التي قهرت العرب مؤخّراً كالترك والمغول، وأدرك الخلفاء السابقون أنّ النظم والأديان ليست ممّا يفرض قسراً فعاملوا أهل كلّ قطر استولوا عليه بلطف عظيم، فالحقّ أنّ الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب (المسلمين) ولا ديناً سمحاً مثل دينهم) (2). _____ 1- سيرة ابن هشام 2:417 – 418، 2- روح الشرائع 2:178 – 179 نقله عادل زعيتر في هامشه عليه.